لماذا نفشل فى حياتنا الزوجية ؟

للأستاذ عيسى متولى

حين فكرت فى اعداد هذا الموضوع ، استعرضت أمامى صورا لأزواج وزوجات سعدوا فى حياتهم الزوجية وسعدت بسعادتهم فلذات أكبادهم ، وأظلهم الهناء بظله الوارف ، ثم استعرضت صورا أخرى لأزواج وزوجات خانهم التوفيق ففشلوا فى حياتهم الزوجية ، وانهارت صروح هنائهم ؛ ورحت أبحث عن العوامل التى انتهت بهؤلاء الأشقياء الى الفشل وعلى ضوء هذا البحث كتبت هذا الموضوع .

* * *

الزواج رابطة مقدسة تربط بين قلبين فتجعل منهما قلبا واحدا فى جسدين ، يشعران شعورا واحدا ؛ فاذا كان الزواج موفقا قائما على أسس قوية سليمة سعد الزوجان بأكبر قسط من الهناءة ، ورفلا فى بحبوحة الرغد ؛ أما إذا لم يقم الزواج على أساس قوى سليم فان البيت لا يلبث أن تتصدع جوانبه ، وتسوده الفوضى ، ويعمه الاضطراب ؛ فينقض وينهار .

وإذا أتيح لنا أن ندرس تلك الحالات التى تنتهى بالفشل ؛ وجدنا أن الفشل فى الحياة الزوجيه يعزى الى أسباب كثيرة متعددة ، فهى بمثابة معاول الهدم التى تهدم عش الزوجية ، وتفرق بين الزوجين ، ولو قدر لهؤلاء الأزواج والزوجات أن يتداركوا ما وقعوا فيه من الاخطاء التى كدرت صفو حياتهم ، وسببت انهيار صروح سعادتهم وأمانيهم ، لما انتهت حياتهم الزوجيه الى هذا المصير المحزن .

* * *

يخطىء الكثيرون فى تفهم حقيقة الزواج والغرض منه ، إذ يسيطر حب المادة على قلوبهم وعواطفهم فيصرفهم عن الاهتمام بالنواحى الأخرى فى الزواج ، فترى طالب الزواج يؤثر الناحية المادية بجل عنايته واهتمامه ؛ فهو لا يهتم بأية ناحية فى الزوجة بقدر ما يهمه إيرادها الشهرى وما يملكه أبواها من عقار ، وعدد أشقائها وشقيقاتها ، ونصيبها من هذه الثروة وما عساه أن يؤول اليها بعد موت أبويها ! .. وهكذا تصرفه المادة عن سائر النواحى التى يجب أن يكون لها الحظ الوافر من الاهتمام والعناية .

كذلك الفتاة تطمع فى الزواج من شاب غنى موسر ، وترغب عن الزواج من شاب رقيق الحال ، ولو كان طيب السمعة حميد الخلق .

وجهلت الفتاة أن هـذا الغنى الموسر قد يصرفه ماله عن بيته ، أو ينسيه واجبات الزوجية ، وانهـا قد تجد سعادتها وهناءها فى ظل شاب رقيق الحال ، يملأ بيتها بهجة وحبـورا .

اننا لا ننكر أن المـال عامل من عوامل اكتمال السعادة الزوجية ، ولكن ليس معنى ذلك أن نوقف عليه مصيرنا الى هذا الحد ، بل يجب أن نهتم بالناحية الخلقية فى الزوجة قبل اهتمامنا بالناحية المـادية .

ويعتمد الكثيرون فى زواجهم على الخطاب والخاطبات ، فيمهدون اليهم باختيار الشريك أو الشريكة ، وهؤلاء الوسطاء يجنون على طلاب الزواج أشنع جناية ، ويلحقون بهم جسيم الاضرار ، لأن كل غايتهم اتمـام الزيجة ليظفروا بأجرهم من الطرفين ولأصور للقارئ مبلغ هذا الضرر أروى مأساة شاب وفتاة كانا ضحية احدى الخاطبات .

أراد ذلك الشاب أن يتزوج من فتاة موسرة ، يكون دخلها كبيرا لتعينه على العيش ، فلمـا علمت احدى الخاطبات برغبته طرقت باب احدى الأسر الفقيرة ، وحملت اليهم بشرى عثورها على شاب غنى من احدى البيوتات الكبيرة ، وزعمت أن دخله الشهرى لا يقل عن الخمسين جنيها . وأنه يمتلك فى المنوفية عشرات الأفدنة . . وفى الشرقية مثلها . وأنه ... وأنه ... إلى آخر هذه الأوصاف التى يجيد وصفها الخاطبات ! .

ثم عادت إلى الشاب تمنيه بالعثور على فتاة أحلامه ، فزعمت له أنها وفقت إلى الزوجة المنشودة ، وأنها من أسرة عريقة ... وان دخلها الشهرى لا يقل عن الخمسين جنيها ... وأنها تمتلك فى المنوفية عشرات الأفدنة ... وأنها ... وأنها ... تمـاما كما وصفت الشاب عند آل العروس ...

وصدق الشاب قول الخاطبة ، وصدق أهل الفتاة قولها ، وطمع الزوج فى إيراد الزوجة ، وطمعت الزوجة فى إيراد الزوج . وزفت الفتاة إلى الفتى . وتمت الزيجة . ولمـا انقضى الشهر الأول ترقب كل منهما إيراد شريكه ، فصدمتهما الحقيقة المرة . واتضح أن الزوج فقير معدم ، لا يزيد راتبه عن خمسة جنيهات ، وأن الفتـاة هى الأخرى فقيرة معدمة ، لا تمتلك شبرا واحدا من الأرض ... فلم يجـد الزوج فى زوجته غرضه ، ولم تجد الزوجة فى زوجها ضالتها ، فكانت المـأساة ... وانتهى الأمر بالفراق !

وكثيرا مايدب الخلاف بين الزوجين حول تنازع السلطة ، فالزوجة تريد أن تكون السلطة فى يدها ، فتمتلك زمام البيت ، وتهيمن على كل شئونه ، والزوج يرى من حقه أن يكون هو صاحب السلطة المطلقة فى البيت ، كلمته هى العليا ، ورأيه هو النافذ ... ومن هنا تتصادم الرغبتان ، فيقوم الخلاف بين الزوجين ، وكثيرا ما يتمخض هذا الخلاف عن أسوأ النتائج .

وعندى أن خير علاج لهذه المشكلة أن يقتسم الطرفان السلطة ، فيتولى كل منهما الاشراف على النواحى التى تناسبه فيتعاونان معا فى إدارة البيت وتصريف شؤونه ، ويتشاوران فى كل أمر ، وبذلك يستطيع الزوجان أن يديرا دفة البيت بحكمة وروح مشبعة بالود والتفاهم .

فاذكر على سبيل المثال ، أن النواحى التى يجب أن تكون من اختصاص الزوجة هى النواحى "الداخلية" أى الاشراف على تدبير البيت ، وتنظيم أبواب الانفاق ، وتربية الابناء.

أما النواحى التى تدخل فى دائرة اختصاص الرجل فهى الناحية المادية ، إذ أنه المسئول الأول عن هذه الناحية ، كما يدخل فى دائرة اختصاص الزوج مهمة التوجيه العلمى لأبنائه وتعهد شؤونهم .

أو بعبارة أخرى ، نستطيع أن نشبه البيت بدولة صغيرة ، يشرف على تصريف شؤونها طرفان ، فالرجل بطبيعته هو المسئول الأول عن كل صغيرة وكبيرة فى البيت ، فمن حقه أن نمنحه " السلطة التشريعية " أما الزوجة فمن حقها أن تمنح "السلطة التنفيذية" فتتولى تنفيذ برامج السلطة التشريعية ، وهكذا تسير شؤون البيت سيرا طبيعيا منظما ، دون أن تعترضها عقبات تعرقلها أو تعوق سيرها .

* *

ومن عوامل الفشل فى الحياة الزوجية إسراف بعض الأزواج فى قضاء أوقات فراغهم خارج البيت ، فيضيقون ذرعا ببيوتهم ، وينفرون منها الى المقاهى والنوادى حيث يقضون جانبا كبيرا من الليل ، وينفقون الساعات الطوال يخوضون فى الأعراض ، أو يعكفون على الموائد الخضراء ، ولا يعودون الى بيوتهم إلا فى الهزيع الأخير من الليل .

هؤلاء الأزواج يهدمون سعادتهم الزوجية بأيديهم ، لأنهم يسرفون فى اللهو والعبث إسرافا يصرفهم عن واجبات البيت ومراعاة شؤونه .

ليس على الزوج حرج أن يقضى سهرة كل أسبوع أو كل شهر خارج البيت ، أما أن يقضى ليالى الأسبوع كلها بعيدا عن بيته وزوجه وأولاده فهذا استهتار بحقوق الزوجية يثير سخط الزوجة وغضبها ، وهى على حق حين تثور وتغضب ، لأن للبيت حقوقا يجب أن تؤدى وواجبات يجب أن ينزلها الزوج من نفسه منزلة التقديس .

* * *

وهناك أزواج ينفقون خارج البيت فى سخاء واسراف بينما يضيقون الخناق على زوجاتهم وأولادهم فيقترون عليهم تقتيرا قاسيا ينتزع جذور الحب من قلوبهم ، ولو أنصف هؤلاء الأزواج لاقتصروا فى انفاقهم على الأبواب المهمة ، ولقد روت لنا الصحف مأساة هذه السيدة الكريمة التى لجأت الى مكتب حماية الآداب شاكية زوجها لأنه يتقاضى مرتبا محترما ينفق معظمه فى المقامرة تاركا أولاده يتضورون جوعا ، وطلبت الى مكتب الآداب أن يتدخل فى هذا الموضوع ، وأمثال هذه الزوجة التعسة كثيرات ، نكبن بأزواج لا يحسنون التصرف ، فبينما يضنون على بيوتهم بالقروش تراهم ينفقون خارج البيت بالجنيهات ! .

وللعاملة الزوجية أثرها فى حياة الزوجين ، فمن واجب الزوج أن يحسن معاملة زوجته وأن يعمل على إرضائها ، وتجنب ما يثير غضبها ، وعلى الزوجة مثل ذلك وبهذا يستطيع الزوجان أن يوطدا هناءهما ، وان كلمة طيبة يوجهها الزوج الى زوجته ، أو الزوجة الى زوجها لكفيلة بأن تزيل من النفس كل أثر سيء ، كما أن كلمة جارحة يعثربها لسان أحدهما فى حالة الغضب قد تكون سببا فى افتراقهما ، واتساع شقة الخلاف بينهما .

* * *

تأتى بعد ذلك مشكلة السن ، فهناك آباء يفضلون زواج بناتهم من أزواج أغنياء رغم تقدمهم فى السن ، طمعا فى ثروتهم التى يتوقعون أنها ستؤول اليهن فى يوم من الأيام وهذه فكرة خاطئة ، لأنه ليس من الحكمة أن نضحى بسعادة بناتنا طمعا فى المال .

أى مال هذا الذى نبيع به سعادة بنتنا فنزوجها بشيخ محطم ، قوس الدهر ظهره ، طمعا فى ثروته وجاهه .

كيف نجمع بينهما تحت سقف بيت واحد ؟! . وهى فى ربيع حياتها ، وهو فى خريف حياته ؟! . .

كيف نجمع بين الشباب والشيخوخة ؟ ! . .
كيف نجمع بين القوة والضعف ؟ ! .
كيف نجمع بين الأمل واليأس ؟ ! . .
كيف نجمع بين النور والظلمة ؟ ! .

إن فتاة فى العشرين من عمرها أو دون العشرين لا تطيق العيش مع شيخ هرم ، لأن ميولها لا تتفق مع ميوله ، وأفكارها لا تنسجم مع أفكاره ، ومن الخير لها أن تقترن بمن يقاربها فى السن ، ليفهمها وتفهمه ، وتتفق مشاربها ومشاربه . . .

ألا سحقا لهذا الثراء الذى نشتريه بسعادتنا ، وما أفدح هذا الثمن الذى ندفعه لقاء هذا الثراء الموهوم ! إننا ندفعه من عصارة قلوبنا ! . . .

ثم كيف يتسنى لزوج تقدمت به السنون أن يكمل تربية أولاده ويراهم حتى يكبروا وهو فى الستين أو السبعين من عمره ؟ ! .

هذا خطأ يقع فيه بعض الآباء حين يزوجون بناتهم من شيوخ محطمين ، وعاقبة هذا الخطأ تحملها الزوجة المسكينة وحدها ، وهى عاقبة سيئة وخيمة . . .

ويصر بعض الآباء على زواج بناتهم بترتيب أعمارهن ، وبذلك يضيعون على الصغيرات منهن فرصا كثيرة ، قد لا تتاح لهن فيما بعد .

ويحسن أن يكون للفتاة رأيها فى الزوج الذى تقدم اليها ، فلا نغفل هذا الرأى بل يجب أن نقيم له وزنه ، وأن نحترمه ، لأنه حق شرعى من حقوقها ، خليق بنا ألا نهضمه .

* * *

وإذا دب الخلاف بين الزوجين وافترقا ، كان الأبناء الضحية الأولى لهذا الفشل ، فتتعرض حياتهم لأخطار كثيرة ، إذ يظلون حائرين بين الأم والأب ، فاذا تزوج الأب من زوجة أخرى حرم الأبناء من عطف الأبوة ، وكرهوا العيش تحت سلطة زوجة أبيهم .

واذا تزوجت الأم من غير الأب حرم الأبناء من عطف الأمومة ، وكرهوا العيش تحت سلطة زوج أمهم ، وكثيرا ما ينتهى الأمر بهؤلاء الأبناء الأبرياء الى التشرد فى الطرقات ، والسقوط فى حمأة الرذيلة ...

ان هؤلاء الأطفال المشردين الذين يهيمون على وجوههم فى الطرقات ، وتدفعهم الحاجة الى ارتكاب الجرائم ، ضحايا أبرياء ، جنت عليهم الظروف ففرقتهم بين آبائهم وأمهاتهم ، وشتت شملهم ، وكان عاقبة ذلك ما يقاسونه من شظف وحرمان ، وما يهدد حياتهم من بؤس وشقاء ، دون ذنب أو جريرة .

* * *

فلنفهم الزواج على حقيقته ، ولننظر اليه نظرة مجردة من كل مأرب أو غاية ، ولنشيد بيوتنا الزوجية على دعائم قوية صحيحة ، لننعم بما نطمح اليه من سعادة وهناء ، ولنتجنب كل طريق لا يتهى بنا إلى الهدف المقصود والغاية المرجوة .

عيسى متولى